المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية

الجزء الثاني — المجلد الثامن

تونس

١٠٠

فهرس العدد

الجزء الثاني من المجلد الثامن

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

رجب ١٣٧١ | جزء ٢ - مجلد ٨ | افريل ١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الاصلاح الاجتماعي

ان الامم كالافراد يعتريها الضعف بعد القوة ويحل بها السقم بعد الصحة ومنها من يفنى ويضمحل ومنها من يعالج سقمه حتى يشفى منه وتعود اليه قوته . وأمراض المسلمين الاجتماعية تكاد تكون متشابهة ولكن اختلف الحكماء في طرق العلاج فمنهم من يرى ان اقرب طريق في العلاج هو البتر وقطع الصلة بالماضي والاخذ باسباب يرى انها هي التي كانت السبب في قوة الآخرين ليدافع بها الاخطار التي تنتاب الهيكل الاجتماعي وتنخر قواه فولى هذا الفريق وجهته ليغترف من حياض الامم الحديثة ويقلد ابناءها في اوضاعهم وحركاتهم وسكناتهم منددا على بني قومه لينفضوا عن نفوسهم ما علق بها من تراث قديم يعده الباعث الاصلي الذي ادمى الجلد واضعف الجسم ونخر العظم

ويرى فريق آخر ان الله بعث هذه الامة وخلقها من ضعف ثم جعل من بعد

ضعف قوة واستخلفها في الارض يوم استكملت صلاحها واتخذت لكل امر عدته فبوأها مقام العز والسؤدد وقال في حقها وهو اصدق القائلين

«كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»

ثم دارت دائرتها ولعبت الشهوات بنفوس ابنائها وغرتهم الاماني فحل الفساد محل الصلاح ونزل داء السقم ودب فيها من كل جانب ولما استفحل امره ادرك الكل خطوره ولكن بعد ما اخذ اليأس يتسرب الى النفوس فارتفعت اصوات المستغيثين هل من مجير ؟ فيرى ان انجع دواء للعلاج تهدى اليه هو استكمال المادة التي نقصت من الامة فتكمل ما نقصها من مواد الحياة وبذلك تعود اليها قوتها وتنهض من هزال مرضها وتاخذ مكانها اللائق بها تقول فيسمع قولها وتعمل فتنشر الاخوة والرحمة والسلام وتكافح الذود عن الحق بكل ما يلزمها من قوة يستدعيها العصر الذي تعيش فيه

وان منشا مخالفة الفريق الاول للفريق الثاني ان الفريق الاول حسب ان مجرد انتساب المسلمين الى الاسلام يكفل لهم وحده حياة العز والكرامة ولا يمكن ان يطمع غيرهم في النيل منهم وايقاعهم تحت سيطرته ولما فتحوا اعينهم وجدوا انفسهم ان الغير طمع فيهم ونال منهم واوقعهم تحت حكمه ونفوذه فنفضوا ايديهم واعرضوا واتجهوا الى هذا الغير يبتغون منه ما يلزم لعلاج الاسقام والاستشفاء من الامراض المنهكة

اما علموا ان الانتساب الى الدين وحده لا يكفل النصرة ولا يبدل الضعف قوة والمرض صحة والفساد صلاحا ولا يغني الانتساب الى رسول والاعتماد على ولي عن الواقع الذي سنه الله لخلقه لعمارة هذا الكون وفي واقعتي احد وحنين ما تقوم به الحجة على كل من ترك العمل المجدي والسعي الموصل وظن ان ما حل بالامة الاسلامية لباعث على فصل العقيدة عن العمل والاتجاه بها الى وجهة اخرى . ان هذا لهو الضلال المبين

فان الله تعالى الذي بعث في الاميين رسولا قد اخرجهم من عمى الجهالة والاعتساف على ما كان يزعم الضالون المضلون وشرع لهم السبل وهداهم لمناهج الصواب وقسم لهم السعادة الى قسمين واوضح لهم الطرق التي توصل الى كل واحدة منهما والاعمال التي

(البقية على صفحة ٥٩)

تفسير القرآن الكريم

(بقلم فضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه)

(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فما فَوْقَهَا)

قد يبدو في اول النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة ومساق هذه الآية اذ بينما كان الكلام على ذكر هذا الكتاب المبين ووصف حالي المهتدين بهديه والناكبين عن صراطه وبيان اعجازه والتحدي به مع ما تخلل وتعقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة والبيانات البالغة والتمثيلات الرائعة . اذا بالكلام قد انتقل الى بيان ان الله تعالى لا يعبأ ان يضرب مثلا بشيء حقير او غير حقير، ولكن عند التامل تظهر المناسبة لهذا الانتقال : ذلك ان الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بان ياتوا بسورة مثل القرآن فلما عجزوا عن ذلك سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبسوا على الناس بان في القرآن من سخيف المعنى ما ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك الى ابطال ان يكون القرآن من عند الله القاء للشك في نفوس المؤمنين وزيادة في تنفير المشركين والمنافقين

روى الواحدي عن الحسن وابن عباس وقتادة ان الله تعالى لما انزل قوله وان يسلبهم الذباب شيئا وقوله كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال المشركون ارايتم اي شيء يصنع بهذا او قال اليهود ما يشبه هذا الكلام فنزلت هذه الآية للرد عليهم . اي ردا بان المثل انما يحسن بحسن مطابقته لحال الممثل ولعل للعنكبوت في

ذلك الموضع حالا لا يغني فيه ذكر غيره. فان كان ذلك قد قاله علماء اليهود الذين لا حظ لهم في البلاغة او قالوه مع علمهم بفنون ضرب الامثال مكابرة وتجاهلا وكون القائلين هم اليهود هو الموافق لكون السورة نزلت بالمدينة وكان اشد المعاندين هم اليهود ولانه الاوفق بقوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله . ولان اليهود قد شاع بينهم التشاؤم والغلو في الحذر من مدلولات الالفاظ حتى اشتهروا باستعمال الكلام الموجه بالشتم والذم كقولهم راعنا كما قال تعالى فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم . ولم يكن ذلك من خلق العرب

واما ان يكون قائله المشركين من اهل مكة مع علمهم بوقوع مثله في كلام بلغائهم فقد قالوا اجرأ من ذباب واسمع من قراد واطيش من فراشة واضعف من بعوضة ، فيكون قولهم ذلك على وجه المكابرة والمعاندة فانهم لما غلبوا بالتحدي وعجزوا عن الاتيان بسورة من مثله تعلقوا في معاذيرهم بهاته السفاسف والمكابر يقول ما لا يعتقد والمحجوج المبهوت يستعوج المستقيم ويخفي الواضح والى هذا الثاني ينزع كلام صاحب الكشاف وهو اوفق بالسياق ولو كانت السورة مدنيه فان المشركين لم يزالوا يلقون الشبه في صحة الرسالة ويشيعون ذلك بعد الهجرة بواسطة المنافقين وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى بعده فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم الى قوله وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .

فان قيل لم لم يكن الرد عقب نزول الآيات الواقع فيها التمثيل الذي انكروه فالجواب ان الوجه في تاخير نزولها ان يقع الرد بعد الاتيان بامثال معجبة اقتضاها مقام تشبيه الهيئات كما يمنع الكريم عدوه من عطاء فيلمزبانه بخيل او يتاخر الكمي عن ساحة القتال مكيدة فيقول الناس هذا جبن فيسرها كلاهما في نفسه حتى ياتي احدها القاصد فيعطيه عطاء جزلا او حتى يكر الاخر كرة تكون القاضية على قرنه فيعلم ان لا بخل ولا جبن فكذلك لما اتى القرءان باعظم الامثال واروعها وهي قوله مثلهم كمثل الذي استوقد . او كصيب الآيات وقوله تعالى صم بكم عمي . جاء ان

ذلك لا بالرد عليهم . وهذه النكتة في موقع آية ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا بعقب الآيات السالفة لان ما ذكره المفسرون مقتصر على بيان وجه نزولها لا لبيان وضعها هنا

والمراد بالمثل الشبه مطلقا لا خصوص المركب من الهيئة لان ماوقع الطعن به قوله لن يخلقوا ذبابا وقوله كمثل العنكبوت وموقع ان هنا لا يحتاج للتقرير واما الاتيان بالمسند اليه علما دون غيره فلان هذا الاسم العلم جامع لجميع صفات الكمال فذكره اوقع في الاقناع بان كلامه هو اعلى كلام في مراعاة ما هو حقيق بها . وليس الاسم العلم مفهوم لانه من قبيل اللقب فليس من معنى الآية ان غير الله ينبغى له ان يستحي ان يضرب مثلا بعوضة بل المقصود ان ذلك لما كان يليق بكلام الله فهو يليق ايضا بكلام غيره لان الله موصوف باعظم الكمال والبشر مامورون بالتخلق بما يصدر منه تعالى مما هو في مقدورهم كقوله تعالى والله لا يستحي من الحق (١). ولهذا ايضا اختير ان يكون المسند خصوص فعل الاستحياء زيادة في الرد عليهم لانهم انكروا التمثيل بهاته الاشياء لمراعاة كراهة الناس ومثل هذا ضرب من الاستحياء كما سنبينه فنبه على ان الخالق لا يستحي من ذلك اذ ليس مما يستحيى منه

وقد يكون ذكر الاستحياء هنا محاكاة لقولهم اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ولا احسب ذلك وقع في كلامهم حتى يقابل بنظيره وانما فرضه صاحب الكشاف تجويزا

فان قلت اذا كان استعمال هذه الالفاظ الدالة على معان حقيرة غير مخل بالبلاغة والفصاحة فما بالنا نرى كثيرا من اهل النقد قد نقدوا من كلام البلغاء ما اشتمل على مثل هذا كقول ابي الطيب « ومن الناس من يجوز عليه شعراء كانها الخاز باز فانكروا عليه لفظ الخاز باز اي الذباب وكذلك انكروا قول الاخر « خلق كانه لديه القمل » فالجواب ان انكار مثل ذلك ليس لانه غير جار على الفصاحة والبلاغة فان البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيرجع انكار ما انكر من ذلك الى اختلاف

---

(١) واما قوله ان ذلكم كان يؤذي النبيء فيستحيي منكم فانما استحيى النبيء لان الحق المذكور حق له فله ان يسقطه واما الله فهو حاكم بانه الحق

المقامات التي قضت عوائد بعض القوم او طباع بعض اهل المجالس النفرة منها اذ لا ينبغي للشاعر ان يدخل بشعره اقلاقا لسامعيه فالمقصود من ذكر ذلك الانكار في كتب الادب الاشارة الى ضبط احوال اختلاف المقامات وتفاوتها كما قالوا في الفرق بين خطاب الذكي وخطاب الغبي .

والاستحياء وهو مصدر استحيى مثل الحياء الذي هو مصدر حيي والسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستاخر واستجاب . والحياء ايضا اسم للحاصل من الاستحياء وهو انقباض النفس من صدور فعل او تلقيه لاستشعار انه لا يليق او لا يحسن في متعارف امثاله . والاستحياء هنا منفى عن ان يكون وصفا لله تعالى فلا يحتاج الى تاويل اسناده الى الله والتعلل لذلك بان نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف تعلل غير مسلم . وتنكير مثلا للتنويع بدلالة القرينة وهي بيانه بقوله بعوضة فما فوقها

وما ابهامية تتصل بالنكرة فتؤكد معناها من تنويع او تفخيم او تحقير نحو لامر ما واعطاه شيئا ما والاظهر انها مزيدة لتكون دلالتها على التاكيد أشد . وقيل اسم بمعنى النكرة المبهمة

وبعوضة بدل او بيان من قوله مثلا والبعوضة واحدة البعوض وهي حشرة صغيرة طائرة ذات خرطوم دقيق تحوم على الانسان لتمتص بخرطومها من دمه غذاءها وتعرف في لغة هذيل بالخموش واهل الحضر بتونس يسمونها الناموسة وقد جعلت هنا مثلا للغاية في الضعف

وقوله فما فوقها عطف على بعوضة والمراد بالفوق الزائد في العظم . وهذه الفاء عاطفة لا تدل الا على التدرج والاتصال دون التعقيب لان التعقيب هو كون تعلق العامل بالمعطوف معاقبا لتعلقه بالمعطوف عليه وليس ذلك مرادا هنا ان الله يضرب بالبعوضة ثم بما فوقها بل المراد بيان المثل بانه البعوضة ومايتدرج في مراتب القوة زايدا عليه درجة تلي درجة فالفاء في مثل هذا مجاز بعلاقة الاطلاق وهو انها موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص فاستعملت في مطلق الاتصال ونظيره رحم الله المحلقين فالمقصرين

اهتمام

الحديث الشريف

الحذر من الغضب (٢)

بقلم المنعم الشيخ محمد ابن القاضي نائب الدولة لدى النظارة العلمية كان

قال الفخر الرازى : ان مجرد اجتناب الكبائر لا يوجب دخول الجنة بل لا بد معه من الطاعات . فالتقدير : ان اتيتم بجميع الواجبات واجتنبتم جميع الكبائر كفرنا عنكم بقية السيئات وادخلناكم الجنة : قلت ويظهر انه لا حاجة لهذا التقدير لانه ان لم يات بجميع الواجبات لم يكن مجتنبا لجميع الكبائر فاجتناب جميع الكبائر مستلزم للاتيان بجميع الواجبات فلا حاجة للتقدير كما لا يخفى .

واما الآية الثانية فقول الله تبارك وتعالى : (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) اصل الكظم شد راس القربة عند امتلائها يقال فلان كظيم اي ممتلىء حزنا . والغيظ هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر والفرق بينه وبين الغضب على ما قيل ان الغضب يتبعه ارادة الانتقام البتة ولا كذلك الغيظ وقيل الغضب ما يظهر على الجوارح والبشرة من غير اختيار والغيظ ليس كذلك . وقيل هما متلازمان الا ان الغضب يصح اسناده الى الله تعالى والغيظ لا يصح فيه ذلك . والمراد والمتجرعين للغيظ الممسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينقمون ممن يدخل الضرر عليهم ولا يبدون له ما يكره بل

يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الانفاذ والانتقام . قال الفخر الرازي : وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم وهو كقوله . وذا ما غضبوا هم يغفرون . قال بعض اهل التفسير انما خص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة الا على من وفقه الله . عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا من كظم غيضا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا واخرج احمد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره الله تعالى من اي الحور شاء . وفي الحديث الاول جزاء من جنس العمل وفي الحديث الثاني ما هو من توابعه .

والمراد من العافين عن الناس فيما قيل المتجاوزون عن المملوكين اذا أساءوا . وقال القفال يحتمل ان يكون هذا بسبب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مثلوا بحمزة وقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والكف عما ذكر انه يفعله من المثلة فكان تركه فعل ذلك عفوا قال تعالى في هذه القصة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه . واختار العلامة الألوسي ان يكون المراد من العافين عن الناس المتجاوزين عن عقوبة من استحقوا المؤاخذة اذا لم يكن في ذلك اخلال بالدين لكون العموم اولى . فقد اخرج ابن جرير عن الحسن ان الله تعالى يقول يوم القيامة : ليقم من كان له على الله اجر . فلا يقوم الا انسان عفا . واخرج الطبراني عن ابي ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره ان يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه .

وقوله (والله يحب المحسنين) تذييل لما قبله - و ال : اما للجنس والمذكورون داخلون فيه دخولا اوليا و اما للعهد وعبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان لان الاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه اما ايصال النفع اليه فهو المراد بقوله (الذين ينفقون في السراء والضراء) ويدخل فيه انفاق العلم وذلك بان يشتغل بتعليم الجاهلين و هداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار . واما دفع الضرر عن الغير فهو اما في الدنيا وهو ان لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءات باساءة اخرى وهو المراد بكظم الغيظ روي عن عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وازكى التسليم انه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك . واما في الآخرة فهو ان يبرىء ذمته من التبعات والمطالبات في الآخرة وهو المراد بقوله والعافين عن الناس ومما يؤيد ان الاحسان هنا بمعنى الانعام ما اخرجه البيهقي ان جارية لعلي ابن الحسين رضي الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع راسه اليها فقالت ان الله تعالى يقول (والكاظمين الغيظ) فقال لها لقد كظمت غيظي قالت (والعافين عن الناس) قال قد عفا الله تعالى عنك قالت (والله يحب المحسنين) قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى

قال في الفتح انه ليس في الآيتين دليل للحذر من الغضب ولكنه لما ضم كظم الغيظ الى اجتناب الكبائر كان في ذلك اشارة اليه وتعقبه في عمدة القاري بان في كل منهما دلالة عليه لان الا ترى نمدح الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا كان مدحا يكون ضده ذما ومن المذموم عدم التجاوز عند الغضب فدل على التحذير من الغضب المذموم واما الآية الثانية ففي مدح المتقين الموصوفين بتلك الاوصاف فدل على ان ضدها مذموم فعدم كظم الغيظ وعدم العفو عين الغضب فدل على التحذير منه

قال في اللباب هذه الآية من اقوى الدلائل على ان الله تعالى يعفو عن العصاة لانه مدح الفاعلين لهذه الخصال وهو اكرم الاكرمين والعفو الغفور الحليم الآمر بالاحسان فكيف يمدح بهذه الخصال ويندب اليها ولا يفعلها ان ذلك لممتنع في العقول ولقد خالف المعتزلة في ذلك واجمعوا على القطع بوعيد اصحاب الكبائر واحتج ابو القاسم الكعبي بآية (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) فقال قد كشف الله بهذه الاية الشبهة في الوعيد لانه تعالى بعد ان قدم ذكر الكبائر بين أن من اجتنبها يكفر عنه سيئاته وهذا يدل على انهم ان لم يجتنبوها فلا تكفر ولو جاز ان يغفر لهم تعالى الكبائر والصغائر من غير توبة لم يصح هذا الكلام. واجاب على ذلك اهل السنة من وجوه كثيرة منها انهم اما ان يستدلوا بهذه الآية من حيث انه تعالى لما ذكر ان اجتناب الكبائر يكفر السيئات وجب انه عند عدم اجتناب الكبائر لا يكفرها لان تخصيص الشيء بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه وهذا باطل لان عند المعتزلة هذا الاصل باطل وعندنا انه دلالة ظنية ضعيفة واما ان يستدلوا به من حيث ان المعلق بكلمة ان على الشيء عدم عند عدم ذلك الشيء وهذا ايضا ضعيف . فقد ثبت ان المعلق بكلمة ان على الشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويؤيد ذلك من الآيات ما لا يحصى فمن ذلك قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا) والاكراه على البغاء محرم سواء اردن التحصن او لم يردن وقوله تعالى (وإن خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) والنكاح جائز سواء حصل ذلك الخوف او لم يحصل وقوله تعالى (فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتمن امانته) واداء الامانة واجب سواء ائتمنه او لا . ولو اعطينا للمعتزلة جميع مراداتهم لم يكن في الآية زيادة على ان نقول ان من لم يجتنب الكبائر لم تكفر سيئاته وحينئذ تصير هذه الآية عامة في الوعيد وعمومات الوعيد ليست قليلة والاجوبة عنها كثيرة فما كان جوابا عن سائر العمومات هو صالح لان يكون جوابا عن تمسكهم بهذه الآية فلم يبق لقول الكعبي قد كشف الله الشبهة بهذه الآية وجه . (يتبع)

(بقية) المقال الافتتاحي

تتحقق بها ، فلم ينتصر الرسول على قريش وهو في المدينة بين اصحابه بل اعد العدة وغزاهم ودارت الحرب بينه وبينهم وحدث ما حدث يوم احد لما نزل الرماة من جبل احد وتركوا ظهر القيادة مكشوفا فلحقهم ما لحقهم لانهم خالفوا السنن التي جعلها الله كفيلة بالنصر وقد حصل ذلك ليعلم المسلمون ان وراء العقيدة اعمالا هم مكلفون بالقيام بها فاذا هم راعوها حق رعايتها سلموا من الهلاك وان هم اخلوا بها دب اليهم الفساد وحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من اصناف الفساد والهلاك . وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فشفاء المسلمين من امراضهم الاجتماعية ليس بالامر العسير ولا ان امراضهم الاجتماعية متعذرة العلاج الذي يضمن لهم السلامة مع المحافظة على مقوماتهم وهو ان يسلكوا ما تقتضيه سنن الكون واصول الاجتماع ويكفي في صحة ذلك ما بلغ اليه المسلمون بدينهم لما مارسوا الحياة على مقتضى السنن الكونية وارتقوا الى ما ارتقوا اليه لما اتبعوا سنن الارتقاء واهتدوا بهدي الاسلام الى صفات بها السمو والاعتلاء ومعنى ذلك ان نبحث مواطن الضعف كما قلنا فنعالجها بمصل القوة ونبحث عناصر الجهل فنزيل عن النفوس الغشاوة ونلهمها العلم الصحيح ونبحث عن المزالق والمخاطر فنحصنها ونقود الافكار فنزيل عنها جمودها وجموحها بنزع قيود الرق وهدايتها الى الصراط المستقيم وتلقين الشباب يكون بما فيه صلاحه وتوجيه جدته الى الخير وتحريك مميز الواجب الشخصي والكفاءة الشخصية وبعث الهمم في الافراد والجماعات على اقتحام المصاعب والاقدام على المشروعات النافعة والجراة على منافسة الامم وممارسة مشاق الامور ونزع الصفات التي قعدت بالشرق عن الالتحاق بمراكب الغرب في مضمار الحياة فانا نرى الناس في تلقين شبابهم يلقنونهم ما يقوم حاجزا حصينا يتركهم الى الوراء وهم يظنون انهم يحسنون تربيتهم فيبثون فيهم التاثر بالغير بدل المروءة ، والخشية من كلام الناس بدل ان يعلموهم كيف يكون الانسان مستقلا بنفسه فيتربى الطفل منذ نعومة اظفاره على مجارات الدهماء في اقوالهم وافعالهم ولا يستقل بشخصيته في حال من الاحوال . ويرغبونهم في التقليد بدل بعث الهمة على

الابتكار واستخدام المواهب التي اودعها الله فيهم في الصنائع والاعمال التي يقومون بها وبدل الجد والاقدام يبثون فيهم الاستسلام والخمول فينشا الشباب ميالا الى السكون والكسل والراحة . وبدل اقتحام المخاطر يحسنون اليهم الرضا بما حصل والاكتفاء بما نالوه ابعد هذه التربية التي ينشا عليها الشباب يقال ان شباب الاسلام لا يصلح لان يكون له شان في الحياة باعتبار ان نشاته الاجتماعية الاسلامية قضت عليه فلا يقدر على مجاراة شباب هذا العصر . كبرت كلمة تخرج من هذه الافواه ان الاسلام لم يفرض تلك التربية ولا امر بالتخلق بها بل ان الاسلام فرض فروضا اذا روعيت ضمنت للامة حياة العز والكرامة واخرجت للعالم شبابا متحصنا بالعلم الصحيح والخلق الكامل والضمير الطاهر قوي الجانب طموحا كريم النفس يخوض معارك الحياة ويخرج منها منتصرا والمضار التي لحقت بهم ناتجة من سوء تربيتهم وتصورهم للاشياء على غير صورتها الصحيحة وهذا من اعظم المخاطر التي تقع فيها الامم وتبقى عليها ما دامت لم تتنبه الى انها تضر بنفسها في الوقت الذي تحسب انها احسنت في صنيعها ذلك ولا مخرج لها مما وقعت فيه اذا لم تعلم انها اخطات الطريق فمن العقل الراجح ان تتسلح بسلاح التربية الفاضلة والمبادي الصحيحة في تهذيب مجتمعنا ونعتاض من الركوب على متن عمياء بسلوك طريق جديدة ومنهج مستقيم وان النهضة الحديثة التي انبثق فجرها لا يصح ان نصفها بحق انها نهضة سليمة من النقائص والعيوب تضمن للامة ما تصبو اليه الا اذا سارت اشواطا نحو الكمال الخلقي الذي يحفظها من المزالق ويضمن لها السير على اقوم مثال ويبعث النفوس على الطموح الى الرقي . ونحن اذا بحثنا عن امراض المجتمع وبحثنا عن الادوية فاننا بحثنا مسالة هي من اعقد المسائل واعضلها وما زال الناس يبحثون عن ادواء المجتمعات وهي شغلهم الشاغل وما ذلك الا لعظيم اهميتها وخطورة اثرها عند الامم وان العناية بالمجتمع هي في الحقيقة العناية بالجوهر وفي سلامته سلامة الامة افرادا وجماعات وليس من حل المسالة الاجتماعية الا اذا علم كل فرد واجبه في الحياة الخلقي والعملي وذلك ما نوالي البحث فيه بعون الله وتوفيقه

محمد الشاذلي ابن القاضي

التشريع الاسلامي

خماسية

حاجة البشر الى الشرايع

بقلم العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي

ذكرنا في مقالنا السابق ان ادوار التشريع التي ستمر بنا خمسة واول هذه الادوار هو دور التكوين والاكتمال ومن المهم ان نقدم قبل الكلام على هذا الدور تمهيدا مهما في بيان حاجة البشر الى الشرائع ولاثباته مسلكان نستمدهما من رسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصري

التمهيد

المسلك الاول مستمد من عقيدة ان للنفس الانسانية حياة اخرى بعد هذه الحياة التي تحياها وانها تتمتع فيها بنعيم او تشقى فيها بعذاب اليم وان السعادة والشقاء في تلك الحيا الباقية منوطان باعمال المرء في حياته الفانية سواء اكانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات او بدنية كانواع العبادات و المعاملات فقد اتفقت كلمة البشر لا فرق بين موحدين وغيرهم الا شذوذا لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحياه بعد مفارقة هذا البدن الفاني وانها لا تموت موت فناء وان اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء وتباينت مشاربهم في طريق الاستدلال عليه هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس قديمها وحديثها

لا يمكن ان يعد نزغة وهمية او ضاله عقلية وانما هو من الالهامات التي اختص بها هذا النوع فقد الهمت العقول ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء . وقد اخذ هذا الشعور يهيج بالارواح التي تتحسس هذا البقاء الابدي وما عسى ان تكون عليه متى وصلت اليه وكيف الاهتداء واين السبيل . كما صحب ذلك شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامد التي كانت جسرا نمر عليه للوصول الى تلك المعيشة السرمدية وهل فيما بين ايدينا من الشاهد معالم نهتدي بها الى الغائب وهل في طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها وبان لا مندوحة له عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها فان النظر الى المعلومات الحاضرة لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة . افليس من حكمة الحكيم الذي اقام الانسان على قاعدة الارشاد التعليم ان يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يعدها بمحض فضله من يصطفيه من خلقه (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه والامانة على مكنون سره ثم يتلقون من امره ان يحدثوا عن جلاله وعما خفي على العقول من شؤون حضرته بما يشاء ان يعتقده العباد فيه وما قدر ان يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من احوال الآخرة ما لا بدلهم من علمه وان يبلغوا عنه شرائع تحدد لهم سيرتهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم ويعلمهم من الاعمال ما هومناط سعادتهم وشقائهم ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال الظاهرة والباطنة

المسلك الثاني : يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه فان الانسان نوع من الانواع التي غرز في طابعها ان تعيش مجتمعة مؤتلفة متعاونة وان تعددت فيها

الجماعات واودع في كل شخص من اشخاصها شعور ما بحاجته الى سائر افراد الجماعات التي يشملها اسم واحد وتاريخ الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في بيانه.وكلما كثرت مطالب الفرد في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة الى الاهل ثم الى العشيرة ثم الى الامة ثم الى النوع باسره وعصرنا هذا اكبر شاهد على ان الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كله كما لا يخفى

ولو جرى الانسان على اصل الخلقة والفطرة لكانت هذه الحاجة من افضل عوامل المحبة بين افراده والمحبة عماد السلام ورسول السكينة الى القلوب وهي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر فكان من شان المحبة ان تكون حفاظا لنظام الامم وروحا لبقائه ولكن الانسان وما ادراك ما هو ليس مما يلهم ولا يتعلم ولا مما يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعى في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات وقد اودع من قوى الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورايه ويتبع ذلك ان يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة وبجوار كل لذة الم ومخاوفه فلا تنتهي رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية وقد تفاوتت افراده في مواهب الفهم وفي قوى العمل وفي الهمة والعزم فمنهم المقصر ضعفا اوكسلا المتطاول في الرغبة شهوة وطمعا يرى في اخيه أنه العون له على ما يريد لكنه يذهب الى تنخيل اللذة في الاستئثار بجميع ما في يده ولا يقنع بمعاوضته في ثمرة من ثمار عمله

وقد يجد اللذة في ان يتمتع ولا يعمل ويرى الخير في ان يقيم مقام العمل اعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل ليتمتع وان لم ينفع ويذهب في ذلك الى ابعد غاية فكلما حثه الخيال الى دفع مخافة او الوصول الى لذة فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيا له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحل الشقاق محل

الوفاق وهل وقف الهوى بالانسان عند حد التناقس في اللذائذ الجسدانية وتجالد افراده طمعا في وصول كل الى ما يظنه غاية مطلبه كسلا ولكن قدر له ان تكون له لذائذ روحية وكان من اعظم همه ان يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما

وقد بلغت هذه الشهوة حدا من الانفس كادت تتغلب على جميع الشهوات وهي لا تملك من افضل العوامل على احراز الفضائل وتمكين الصلات بين الافراد والامم لو صرفت فيما سيقت له ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها لنفس الاسباب التي اشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والفهم والهمة والعزيمة حتى خيل لكثير من العقلاء ان يسعى لاعلاء منزلته في القلوب باخافة الامن وازعاج الساكن واشعار القلوب رهبة المخافة لا تهيب الحرمة

فهل يمكن مع هذا ان يستقيم امر جماعة بني نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم او لا تكون هذه الافاعيل السابق ذكرها سببا في فنائهم . لا ريب ان البقاء على تلك الاحوال من ضروب المحال فلا بد للنوع الانساني لحفظ بقاءه من المحبة او ما ينوب منابها وقد جرت كلمة حكيمة على لسان بعض العارفين (ان العدل نائب المحبة) ولكن من يقيم قسطاس العدل او بعبارة ادق من الذي يضع قواعد العدل ويحمل الكافة على رعايتها . وهل يكفي العقل وحده لاقامة ذلك ؟

انا وان كنا نسلم ان من الناس من رزق من قوة العقل واصالة الحكم ما يعلوا بهم فوق ما تحيله المخاوف فيعرفون لكل حق حرمته ويميزون بين لذة ما يفنى ومنفعة ما يبقى وقد جاء منهم افراد في عصور مختلفة وضعوا اصول الفضيلة وكشفوا وجوه الرذيلة ومنهم من انفق في الدعوة الى رايه نفسه وماله ومضى شهيد اخلاصه في دعوة قومه الى ما يحفظ نظامهم

لكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق على فطرته ان يخضع كافة افراده او الغالب منهم لراي العاقل لمجرد انه الصواب، ؟

وهل كفى في اقناع شعب منهم او امة قول عاقلهم أنهم مخطئون وان الصواب فيما يدعوهم اليه وان اقام على ذلك من الادلة ما هو اوضح من الضياء واجلى من ضرورة المحبة الى البقاء ؟

كلا لم يعرف ذلك في تاريخ الانسان وهيهات ان يكون ذلك بعد ما عرفنا من تفاوت الناس في الادراك

واذا اضفت الى ذلك ما هو لازم للانسان من نزعات الفكر ونزعات الاهواء مهما علا فكره وقوت فطنته علمنا علما لا يعتوره الشك ان العقل وحده غير صالح لاقرار قواعد العدل وحمل الناس على الاعتراف بها واتباعها

واذا علمنا ان هناك شعورا هو الصق بالانسان وبغريزته البشرية بان هناك قوة هو مغلوب لها وانها ارفع من قوته ومن قوة كل ما انس منه الغلبة عليه مما حوله وانه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه قد لا يعرفها

وتشعر كل نفس انها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى ولكن الخلاف اشتد بينهم في هذه القوة وفي ادراك كنهها بما كان اشد اثرا في التقاطع بينهم واثارة اعاصير الخلاف والشقاق من اختلافهم في معرفة النافع والضار لغلبة الشهوة عليهم كان من الحكمة لا محالة ان يجود الواهب الجواد سبحانه على هذا النوع بما هو امس بالحاجة الى البقاء وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء واحفظ لنظام الاجتماع وهو النائب الحقيقي عن المحبة

ولا تخالف سنته فيه من بنائه على قاعدة التعليم والارشاد فاقام له من بين افراده مرشدين هادين وميزهم بخصائص في انفسهم لا يشاركهم فيها سواهم يعلمون الناس ما شاء الله ان يصلح به معاشهم ومعادهم وما اراد ان يعلموه من شؤون ذاته وصفاته واولئك هم الانبياء والمرسلون

فبعثة الانبيا حاجة من حاجات الانسان في بقائه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة اتمها الله لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

لغويات

تصحيح اخطاء وتحاريف في اللغة العربية

من طبعة جمهرة الانساب لابن حزم

بقلم العلامة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

كتاب جمهرة الانساب لابي محمد على بن احمد بن حزم القرطبي الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ كتاب جليل عزيز النظير نادر الوجود لا تتجاوز النسخ الموجودة منه عد الاصابع منها نسخة بجامع الزيتونية الاعظم بتونس و كنت قديما معنيا بمطالعتها على كثرة التحريف فيها . وقد اهتم بنشره وطبعه بمطبعة المعارف بالقاهرة المستشرق الضليع الاستاذ ليفي بروفنسال بعنايته وتحقيقه . وضبطه وتعليقه . ووقعت الي نسخة من هذا المطبوع فابتهجت بذلك وقدرت قدر ما صرف من الجهد في الضبط والتعليق . وانه بثنائه على ذلك لخليق . بيد اني وجدت فيما نشره كلمات منيت بالتحريف او بخطا في الضبط او وجوها مرجوحة او مشكلة في الاسماء او نقصا نشا عن اهمال او غفلة وذلك لكثرة التحريف في نسخ الجمهرة بحيث لاغنى للمحقق عن المصير في عمله الى الاصول اللغوية والتاريخية وكتب الحديث والسيرة والمعاجم في اسماء الرجال والقبائل والبلدان

من اجل ذلك رايت ان اصلح ما امكن لي اصلاحه واحققه او ازيد شيئا وقع أغفاله مع التنبيه على مرجع التصحيح ان لم يكن وجه التصحيح واضحا . مقتصرا

على الاسماء العربية دون البربرية والعبرية والفارسية اذ كان للعرب في النطق بالاسماء العجمية سمة معروفة في قولهم«اعجمي فالعب به ماشئت»وقد انبه على اصلاح في العربية اذا كان خلله مما يختل به المعنى او كان قد اشتهر الخطأ فيه على السنة بعض الكتاب

ثم رايت ان انشر ذلك ليلحق بتلك النسخة مشيرا الى الصفحة والسطر من النسخة مع ذكر الخطأ او المرجوح الواقع فيها وما هو الصواب او الراجح فيه او ما تعين ان ازيده وربما اشرت الى ما خالفت فيه النسخة التونسية من الجمهرة التي هي من جملة الاصول التي اعتمدها الناشر وفيها تصحيحات بخط احد الفاسيين ولا ادعي اني احطت بما في هذه الطبعة من الاخطاء ،فمن عثر على شيء فليقف على ما قدمته من الخطا

ص ٤ س ٨ كتب « الرجال » بالراء والصواب الدجال بالدال وتشديد الجيم كما في حديث البخاري (ص ٦٦ جزء ٨ فتح الباري)

ص ٦ س ١٤ ضبط تعتق بفتح التاء والصواب ضم التاء الاولى وكسر التاء الثانية

ص ٦ س ٢٠ كتب واما عادٌ (بلا تنوين) والصواب عادٌ بالتنوين

ص ٧ س ٢١ كتب قصورا بقاف وصاد مهملة والف في أخره وفي النسخة التونسية قطورا بطاء وكلاهما خطا والصواب انه حضور بحاء مهملة مفتوحة في اوله وضاد ساقطة معجمة وبدون الف في ءاخره كما في تاج العروس قال وشذ من رواه بالالف الممدودة قلت ووقع لابن خلدون بالف مقصورة في ءاخره (ص ٣٠ ج ٢ بولاق سنة ١٢٨٤)

ص ٩ س ٩ كتب حضين بضاد ساقطة معجمة وصوابه كما في النسخة التونسية حصين بالصاد المهملة .

ص ٩ س ١٧ ضبط الهون بفتح الهاء والصواب الهون بضم الهاء كما في القاموس

ص ١٠ س ٣ وملكان ضبط بفتح الميم والصواب كسرها كما في القاموس

ص ١١ س ١٠ « من ولد لوي ، وعوف » قد سقطت هنا كلمات فالصواب هكذا « من ولدلؤي بن غالب . وسامة بن لؤي . وقد قيل وخزيمة بن لؤي. وسعدان لؤي وعوف » هكذا في النسخة التونسية مع تصحيح من صححها

ص ١٢ س ٤ ـ ٦ كتب (اسامة) مرتين والصواب سامة بدون همز كما في النسخة التونسية

ص ١٢ س ٥ كتب االخرم بهمزتين وخا معجمة وراء والصواب احزم بهمزة واحدة وحاء مهملة وزاي كما في القاموس

ص ١٣ س ١ « والمقوم » ضبط بفتح الواو ويجوز في الواو الكسر

ص ٦٥ س ٥ ـ ٦ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٢ ـ ١٥ ـ ضبط ابو لهب بسكون الهاء والسكون مرجوح والاولى فتح الهاء كما جاء في القرءان ولذلك صدر به القاموس

ص ٧١ س ١٠ كتب « وابو عمر » وصوابه « وابو عمرو » كما في القاموس وغيره

ص ٧٦ س ٢١ كتب وقطر براء في اخره والصواب قطن بنون كما في النسخة التونسية وهو المعروف في الاسماء

ص ٧٧ س ١٣ (وابن ءاخر) جعل بين علامتين كانه اشارة الى انه مما زاده الناشر وهو زيادة لا وجه لها والصواب زيادة واو وحذف ابن ءاخر

ص ١٠٥ ـ ١٠٦ س ٢٠ ـ ١ ـ كتب كميم مرتين ولا يعرف هذا الاسم والذى في النسخة التونسية كضيم بضاد وعليه اثر اصلاح فليحقق

ص ١١٧ س ٣ « ابو السنابيل » الصواب ابو السنابل بدون تحتية كما في صحيح البخاري والاصابة

ص ١٢١ س ٢٠ كتب « فولد عبد : عوف وولد عوف بن عبد بن الحارث » هكذا وقع ايضا في النسخة التونسية وهو غير منتظم والصواب « فولد عبد : عوف . وعبد عوف. فولد عوف بن عبد بن الحارث الخ » كما يوخذ من النسخة التونسية فيمايلي

ص ١٢٢ س ١ كتب « وولد عوف بن عبد » والصواب « وولد عبد عوف بن

عبد الخ » كما في النسخة التونسية

ص ١٤٠ س ٢٠ ضبط « وعويج » بضم العين وفتح الواو والصواب انه بفتح العين وكسر الواو كما في الاصابة في ذكر خارجة بن حذافة بن عويج هذا

ص ١٤٢ س ٧ كتب عائذ بدال مهملة والصواب انه بذال معجمة كما في النسخة التونسية وهو لقب عبد الله بن الزبير

ص ١٤٦ س ٩ ضبط « المجبر » بكسر الباء والصواب فتحها كما في القاموس

ص ١٤٨ س ١٠ ضبط « بن مال » بتنوين اللام والصواب بكسرة واحدة في اللام ترخيم مالك في غير النداء لضرورة الشعر

ص ١٤٨ س ٤ وص ١٤٩ س ١٢ ضبط عويج بضم ففتح وقد تقدم صوابه في تصحيح صفحة ١٤٠ . ص ١٥١ س ١ كتب « الدهرانيون » بدال في اوله والصواب الوهرانيون بواو في اوله كما في النسخة التونسية

ص ١٥٦ س ٤ قوله « فابو حذافة » كذا كتب في النسخة التونسية وهو مشكل من جهة ربط الكلام ومن جهة الاعراب فاما من جهة الربط فلا وجه للفاء في قوله « فابو » لان ابا حذافة يتعين ان يكون عطف بيان من « ولد » في قوله الا ولد ابي سلمة الخ واما من جهة الاعراب فحيث انه استثناء من كلام مثبت يتعين نصب « ولد ابي سلمة » ونصب « وءاخر من حدث » عطفا على ولد ابي سلمة، ونصب ابا حذافة لانه بيان من لفظ « آخر »

ص ١٥٧ س ٦ وص ١٦١ س ٩ - ١٣ - ٢٢ - « معيص » ضبط بضم الميم وفتح العين والصواب انه بوزن امير كما في القاموس

ص ١٦١ س ١١ « بشر بن ارطاة » ضبط بكسر الباء وكتب بشين معجمة والصواب انه بسين مهملة وبضم الباء كما هو معروف

ص ١٦٤ س ١١ «وفي همدان احرم بخاء منقوطه » صوابه بحاء غير منقوطه كما في النسخة التونسية

ص ١٦٦ ص ٤ « ابن خطل » ضبط بكسر فسكون والصواب ابن خطل

بفتحتين كما في القاموس وكتب السيرة والحديث

ص ١٦٦ س ٩ «الخطلان» ضبط بكسر فسكون والصواب الخطلان بفتحتين وهو تثنية خطل المذكور قبله على وجه التغليب

ص ١٦٦ س ١٢ كتب « وضبة وضباب » وضبط ضباب بتشديد الباء وصواب العبارة « وضبة والظرب وضباب » كما في النسخة التونسية والظرب بوزن كتف وضباب بوزن كتاب

ص ١٦٧ س ١٥ - ١٧ ضبط « الخلج » بفتحة فسكون والصواب انه بضمتين كما تقدم آنفا

ص ١٧٠ س ١ كتب « المعترف » مرتين بعين مهملة والصواب انه بالغين المعجمة كما في الاستيعاب وغيره ووقع تحريف في مطبوع الاصابة

ص ١٧٠ س ٢ كتب « اهيب » بهمزة وضبط بفتح فسكون ففتح والصواب « وهيب » بالواو كما في النسخة التونسية والاستيعاب ووقع تحريف في الاصابة المطبوعة والصواب ضبطه بضم الواو وفتح الهاء وسكون الياء

ص ١٧٠ س ١٢ كتب « مالك » بالف والصواب انه بدون الف وبسكون اللام كما نبه عليه المؤلف في ذكر بني كنانة انظر ص ١٠

ص ١٧٠ س ١٢ ضبط « ملكان » بفتح الميم والصواب انه بكسر الميم كما تقدم في صفحة ١٠

ص ١٧٠ س ١٢ لم يضبط « حدال » وهو بضم الحاء المهملة وتخفيف الدال بوزن غراب كما في القاموس . (له بقية)



في اللغة (٢)

بقلم العلامة النحرير الشيخ محمد المنستيري المدرس بجامع الزيتونة

لقد اتينا في بحثنا السابق المنشور بالعدد الفارط من مجلتنا هذه على طائفة من الالفاظ التي يقع فيها الخطا بكثرة متداولة واشرنا الى مواطن تلك الاخطاء والى وجه الصواب فيها وذلك اقل واجب يتقاضانا للذود عن حياض لغتنا من لوثة العجمة والعامية وحتى ندفع عن انفسنا ـ معاشر التونسيين ـ وصمة التواني والغفلة في الدفاع عن لغة القرءان بتقويم ما اعوج من اقلام اخواننا الكرام الكاتبين وليظهر جلال الوحدة العربية لكل ذي عينين ويرتد طرف الناقمين عليها وهو حسير

لذلك نعود اليوم الى مواصلة البحث في اخطاء اخرى فمن ذلك قولهم : ها نحن قد اجتمعنا.الخ وها انا قد اتيت اليك.الخ والصواب ان يقال في الاول ها نحن اولاء قد اجتمعنا وان يقال في الثاني وها انا ذا قد اتيت اليك لما تقرر في النحو من ان جواز دخول ها التنبيه على ضمير رفع منفصل مشروط بان يقع الاخبار عنه باسم الاشارة وتخلف هذا الشرط شاذ كما نقل ذلك البدر الدماميني عن ابن هشام في حواشيه على التسهيل ومن باب التوسع العلمي نذكر هذه اللطيفة وهي ان الامام ابن هشام نفسه المنقول عنه هذا الشرط قد وقع في هذا الشذوذ في خطبة كتابه الفريد « مغني اللبيب » حيث قال وها انا بائح بما اسررته الخ فرحم الله الامام مالكا القائل : كلكم راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قولهم في بحران هذه المدة او هذا الشهر وهو خطا والصواب ان يقال في غضون او اثناء هذه المدة حيث انهم ذكروا لهذه اللفظة معنى لا يتفق وما يقصدون قال في تاج العروس صفحة ٣٠ جزء ٣ :

« وبحران المريض » بالضم « مولد » وهو عند الاطباء التغير الذي يحدث للمريض دفعة في الامراض الحادة « و » يقولون « هذا يوم بحران مضافا » كذا في الصحاح وفي نزهة الشيخ داود الانطاكي البحران بالضم لفظة يونانية وهو عبارة عن الانتقال من حالة الى اخرى الى ان قال : ثم الانتقال المذكور اما الى الصحة او الى المرض والاول البحران الجيد والثاني الرديء اه وبهذا المعنى ورد في مقامات الحريرى في المقامة الاربعين التبريزية « هذا يوم الاعترام هذا يوم البحران » .

ومن الاخطاء التي شاعت وذاعت وانساق اليها كثير من الكتاب انسياقا قولهم أفهل كان كذا فيدخلون حرف الإستفهام الذي هو الهمزة على هل الاستفهامية وممنوع عربية الاستفهام بحرفين كما نقل ذلك صاحب لسان العرب صفحة ٢٣٥ ج ١٤ عن الليث حيث قال : قال الليث هل حقيقة استفهام تقول هل كان كذا وكذا وهل لك في كذا وكذا قال وقول زهير * اهل انت واصله * اضطرار لان هل حرف استفهام وكذلك الالف ولا يستفهم بحرفي استفهام اه وعليه فالصواب ان يقال اكان كذا او هل كان كذا

ومن الاخطاء الشائعة ايضا قولهم مثلا حسبما تضمنته الأفصال اعلاه فيجمعون فصلا على افصال وهو خطا لان افعالا لا تكون جمعا لفعل بفتح الفاء الصحيح العين الساكنة كفصل الا شذوذا فيقتصر فيه على ما سمع كاحمال وازناد وافراخ واحبار جمع حمل بفتح الحاء وزند بفتح الزاي وفرخ بفتح الفاء وحبر بفتح الحاء هذا مذهب الجمهور خلافا للفراء الذاهب الى ان افعالا ينقاس في فعل اذا كانت فاؤه همزة كالف او واوا كوهم

وعلى كلا المذهبين لا يجوز لنا ان نجمع كلمة فصل على افصال وانما الوجه ان نجمعها في القلة على افعل لقول ابن مالك * لفعل اسما صح عينا افعل *

وفي الكثرة على فعول بضم الفاء لقوله ايضا

وبفعول فعل نحو كبد   يخص غالبا كذاك يطرد

في فعل اسما مطلق الفا   الخ

ويقولون هذا حديث فذلكة ويقصدون بلفظ الفذلكة معنى الدعابة والفكاهة وهو خطأ لان الفذلكة في العربية معناها خلاصة الحساب حيث يقال فذلك حسابه فذلكة بمعنى انهاه وفرغ منه وهي منحوتة من قول الحاسب اذا اجمل حسابه فذلك كذا وكذا اشارة الى حاصل الحساب ونتيجته كما تطلق بمعنى مجمل الكلام وخلاصته

وقد اهملها صاحب لسان العرب كما اهملها الجوهري وانفرد بذكرها صاحب القاموس وقال مرتضى فذلك الحساب كفهرس الابواب فهرسة الا ان فذلك ضارب بعرق في العربية وفهرس معرب اه مرتضى صفحة ١٦٦ ج ٧

ويقولون الحضور في الساعة الحادية عشر او الساعة الحادي عشرة ففريق يجرد الجزء الاول من التاء وفريق يجرد القسم الثاني منها اعتمادا منهم على ان قاعدة العدد توجب المخالفة بين المعدود واسم العدد في التذكير والتانيث فاضطربوا في تطبيق تلك المخالفة فمرة يراعونها في الجزء الاول وطورا في الجزء الثاني وكلاهما خطا والصواب ان يقال الساعة الحادية عشرة بالمطابقة فيهما تانيثا كما يجب ان يجرد الجزءان من التاء اذا كان المعدود مذكرا قال الامام ابن هشام في التوضيح ما نصه

« والرابع ان يستعمله (اي اسم الفاعل المشتق من اسم العدد) مع العشرة ليفيد الاتصاف بمعناه مقيدا بمصاحبة العشرة فتقول حادى عشر بتذكيرها وحادية عشرة بتانيثها وكذا تصنع في البواقي تذكر اللفظين مع المذكر وتؤنثهما مع المؤنث فتقول الجزء الخامس عشر والمقامة السادسة عشرة اه   (للكلام بقية

محمد المنستيري

تراجم الاعلام

الشيخ صالح الشريف

بقلم العلامة النحرير الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة

في الشخصيات الاسلامية اعلام كلما رن ذكرها في وسط من الاوساط المحدودة الضيقة انبعث طنينه عاليا داويا في الاجواء حتى تعود اصداؤه المتجاوبة الى الوسط الذي انبعثت عنه باصوات مجموعة مما تفور به الآفاق شرقا وغربا فاذا هي الاجواء البعيدة الممتنعة حاضرة مجلوة تشرق ببريقها وتشنف بوقعها واذا الوسط الذي كان ضيقا حرجا قد اصبح بما حملت اليه تلك الذكرى في انشراح وسعة ينطوي على عالم من الاسرار والانوار قد تضخم به وجوده وعظم واشرقت به حقيقته فاستضاءت واستعلنت

لذلك ترى العواصم الشريفة جد حريصة على ان تتخذ وسائل الاحياء والتعريف لاعلام الرجال الذين خلدوا في تاريخها لتجعل من اصداء اسمائهم حقائق حية لمعان ما كانت تعلق بها لولا اولئك الاعلام

وما العلم الذي هو موضوع الترجمة الا واحد من ابرز هؤلاء فهو الاسم الذي كلما ذكرته البلاد التونسية علقت بذكره على واجهة المدينة معاني مرتبطة بذلك الاسم الشريف من تاريخ القطر الجزائري الشقيق ومقام النسب النبوي الشريف في جبال القبائل منه وما لقيت به تونس الذين اووا اليها في مهاجريهم ثم نشرت صحيفة من حياة العلم والبيان المطوية في تاريخ جامع الزيتونة الاعظم وبعثت تيارا عن روح الجامعة الاسلامية كان يجري في حياة الجيل الماضي متدفقا بتونس وبالاستانة العلية وطرابلس الغرب والواجهة البلقانية وبالحرمين الشريفين ومصر والشام حتى بلغ اوروبا الوسطى واختلط بمنابع نهر الرون فكان بذلك كله

لمدينة الخضراء عنوانا يشرفها عند نفسها ويعرفها عند الناس

فقد انحدر الشيخ صالح الشريف من ارومة كريمة صريحة النسب الادريسي الحسني استقرت في شمالي المملكة الجزائرية بمنطقة بجاية على المقام الاسمى الذي يحتله السادة الاشراف الادارسة من نفوس القبائل الكبرى بجبال جرجرة وانتقلت هذه العائلة الكريمة الى تونس اثناء النصف الاول من القرن الماضي على منهج الفضل والطهر والصلاح والعلم الذي سلكته في تاريخها الجزائري

ففي سنة ١٢٥٦ كان جد مترجمنا الشيخ محمد العربي الشريف احد الخمسة عشر عالما من المالكية الذين نظمهم المشير الاول المقدس احمد باشا في سلك التدريس الرسمي بجامع الزيتونة الاعظم بمقتضى النظام الذي احدثه بالمعلقة ثم كان ولده الشيخ محمد المختار والد مترجمنا من افاضل الفقهاء العدول المرموقين في الحاضرة وبخاصة في ربضها الجنوبي بعين اجلال وتكريم

وولد مترجمنا في حدود سنة ١٢٨٥ على مهد المروءة والطهارة تحوطه مثل الفضيلة وذكريات العزة فارتضع افاويق البيان العلوي والحكمة الحسنية وفطم على حلاوة الايمان وحنك بكلمة القرءان العليا ثم دب الى كعبة الدين والعلم جامع الزيتونة الاعظم اواخر القرن الماضي فانقطع الى الجلة الاعلام الفحول الذين تخرج بهم من امثال العلامة الكبير عمر بن الشيخ وشيخ الاسلام سالم بوحاجب والعلامة الكبير حسين بن حسين والعلامة الكبير محمد النجار وشيخ الاسلام محمد بن يوسف فكانت عنايتهم تحوطه لما لمع من بوارق ذكائه ودوى من رعود جده واقباله وكان والده يتولاه بعناية وحرص خارجين عن الحد المعهود واتصل من بين شيوخه اتصالا محكما وثيقا بالعلامتين عمر بن الشيخ وحسين بن حسين فلازمهما دروسا ومجالس واستفاد منهما علما ومناهج وتوجيهات

فاحرز على شهادة التطويع سنة ١٣٠٤ وانتصب للتدريس باشارة شيخه العلامة عمر ابن الشيخ ورعايته واشرافه

حدثني سيدي الوالد امد الله نوره انه لما دخل لطلب العلم بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠ كان العلامة المقدس سيدي عمر ابن الشيخ هو الذي انتدب لترتيب دروسه وتعيين مشائخه الاولين فكان اول اسم ذكره له من اسماء الشيوخ الذين انتخبهم له اسم مترجمنا قدس الله ذكراه

ولقد بدت على هذا المترجم العظيم منذ انتصابه للتدريس معان من المقدرة والجاذبية اوقرت محبته والتعلق به في نفوس الطلبة والتفت حوله منهم نخبة من اعيان الاذكياء احاطوا به احاطة الهالة واختصوا به اختصاص البنوة والصحبة فكان ذلك زائدا في شحذ همته العلمية وصقل موهبتيه النقلية والبيانية حتى اصبح وليس له شغل الا الدرس والمذاكرة فكانت دروسه فياضة غزيرة كثيرة في جامع الزيتونة وغيره من المساجد والزوايا بالحاضرة حتى اربى عدد دروسه التي يلقيها يوميا على السبعة ملا فيها حصص الليل والنهار وانقطع اليها عن كل شيء مما كان يشجعه من طرف والده على ذلك ويعينه من كفاية والده اياه كل مهم من مهمات الحياة

فاصبحت حياة الدراسة حياته كلها وطلبته عائلته ومعاهد الدروس بيته ومرتعه

وبدا زكاء اخلاقه يجنح به الى تحقيق المثل العليا في الحياتين الفردية والاجتماعية بما كان يأخذ به تلاميذه من طرق التربية والايقاظ وسلك الى نفوسهم بما وهبه الله من فصاحة نادرة مسالك التوجيه الى الواجبات العليا على ما تقتضيه اصول الدين وعزائم الاخلاق

فكان خطيبا مفوها قراع المواعظ بليغ الاثر في النفوس ومدرسا مدربا

ضرب مثلا نادرا في قوة العارضة العلمية . وفي سنة ١٣١٠ تقدم الى مناظرة التدريس من الطبقة الثانية فكان مجليها ووليها ثم انتقل بعد ذلك الى التدريس من الطبقة الاولى سنة ١٣١١ فاشتهر وعم نفعه واصبحت دروسه محط الرحال فاقرا أعلى الدروس وارفع الكتب كتفسير الكشاف وشرح السعد على العقائد النسفية

وفي سنة ١٣١٦ شارك في لجنة اصلاح التعليم بجامع الزيتونة الاعظم المنعقدة برئاسة الصدر العلامة المقدس الشيخ محمد العزيز بوعتور فكان سيفا مسلطا على محاولي الاخلال باستقلال كيان الجامعة الزيتونية بما جعل مدار تلك اللجنة عليه ونجاحها في فصل الحياة الجامعية عن كل تبعية اداريه راجعا اليه

وبما كان له من اليقظة الشعورية كان تعلقه شديدا بحياة الجامعة الاسلامية واحكام الارتباط بالخلافة العثمانية فابتدات فكرة الرحلة الشرقية تحوم حول فكره حتى استقرت ورسخت

فبدا في تمهيد طرق الارتباط التونسي العثماني متعاونا مع زعيم الناشئة الوطنية يومئذ محمد البشير صفر ومع الاحرار من الاتراك المهاجرين الذين كانوا يمثلون شق انصار الجامعة الاسلامية من حزب الاتحاد والترقي الشق الذي كان يتزعمه الشهيد انور باشا

وابتدا يزاول اللغة التركية في دروس كان عمل على اعدادها لذلك بمدرسة الجمعية الخلدونية واحكم صلاته في الشرق بواسطة المتعاونين معه من عمد النهضة السياسية بتركيا

وفي سنة ١٣٢٤ خرج من البلاد التونسية قاصدا الشرق بنية الحج مع فكرة راسخة في الاستقرار النهائي بالشرق فقصد دار الخلافة العثمانية ووجد سمعته الطيبة وشهرة اخلاصه وعلمه قد سبقته اليها فنال من عناية رجال الاتحاد والترقي اكمل منال

وكانت نار الانقسام بين العرب والاتراك قد بدا وميضها خلل الرماد فانتصب لاطفائها . وحج في موسم سنة ١٣٢٥ فكان فيضا منصبا بالدعوة الى الالتفاف حول الخلافة ثم استقر بمدينة دمشق فعلا مقامه وطار صيته واشتهرت دعوته الاسلامية فادخلته في خصومات مع انصار فكرة الخلافة العربية وكانت شدة خلافاته في ذلك مع الاستاذ الكبير المقدس السيد محمد رشيد رضا قطب مجلة المنار

وعاد الى الاستانة سنة ١٣٢٧ فعين ملحقا بدائرة مشيخة الاسلام وكانت له في ذلك آثار محمودة في العمل لجلب عناصر العالم الاسلامي الى دائرة الخلافة بطريق الرباط الديني المحض ولما نشبت الحرب التركية الايطالية بسبب عدوان ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٣٢٩ سافر مترجمنا الى الواجهة الطرابلسية فكان مجاهدا واعظا عمل بيده في رد الغارة الايطالية وبعلمه وبيانه في جمع الكلمة وقتل عقارب الفتنة حتى اخترق خطوط النار مرات في سبيل الاصلاح بين العناصر الاسلامية المشتركة في تلك الواجهة

وقويت صلاته باثر هذه الاعمال الجليلة بالوزير الزعيم الكبير انور باشا فابلى واياه البلاء الحسن في الحرب البلقانية وتزعم رحمه الله المظاهرة التي قامت عند الباب العالي ضد حكومة كامل باشا لما عزمت على تسليم ادرنه ثم لما قامت الوزارة الاتحادية برئاسة طلعت بك وكان انور باشا وزير حرب فيها سمي المترجم له مستشارا بوزارة الحربية

ونشبت الحرب العظمى وهو على ماموريته تلك فكان في اثنائها سفيرا مفوضا على راس بعثة مدنية عسكرية لاصلاح ذات البين في الخلاف الذي نشب سنة ١٣٣٣ بين سلطنة السعوديين بنجد وامارة آل الرشيد في حائل وقدهياه لذلك مقامه النسبي والعلمي ولكنه لم يستطع الاتصال بالملك عبد العزيز آل سعود وان كان يحمل اليه كتاب تفويض في المذاكرات من الحكومة العثمانية عندي صورة منه (١)

وعند حدوث الاضطراب بنهاية الحرب العظمى خرج المترجم من تركيا الى سويسرا واقام بمدينة لوزان في رفقة من اللاجئين السياسيين اخصها به زعيم الاسلام وامير البيان شكيب ارسلان الى ان توفي في جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ ووصل نعيه الى تونس بواسطة برقية الى عائلته من سفير تركيا ببرن ثم نقل جثمانه الطاهر الى البلاد التونسية في ذي القعدة سنة ١٣٣٨ فقبر بمقبرة الزلاج لقاه الله اجر العلماء العاملين والمجاهدين الصادقين ورفع قدره في عليين كما طهر ذكراه في العالمين

(١) سيقع نشرها مع حوادث سفارته تلك في العدد المقبل ان شاء الله

الادب

كلمة فى الشعر

بقلم الشيخ الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى بالجامع الاعظم

قد تواطأ الادباء قديما وحديثا على تعريف الشعر وحده بما سيتلى عليك واللفظ شهاب خفاجة رحمه الله تعالى ونصه « الشعر كلام مقفى موزون بالقصد » فخرج بقيد القصد ما كان موزونا من القرآن والحديث ، وقال السكاكي لا يسمى شعرا لتغليب النثر عليه قال الزوزني والاول منظور فيه لامتناع ان يقال كان ذلك منه تعلى من غير قصد وارادة بل الوجه ما قاله السكاكي من حديث التغليب وقال بعض المتاخرين المراد بقصد الوزن ان يقصد ابتداء ثم يتكلم مراعيا جانبه لا ان يقصد المتكلم المعنى وتاديته بكلمات من حيث الفصاحة في تركيب تلك الكلمات توجبه البلاغة فيستتبع ذلك كون الكلام موزونا او ان يقصد المعنى ويتكلم بحكم العادة على مجرى كلام الاواسط فيتفق ان ياتي موزونا اه . ثم ان الشهاب قد تعقب كلام هذا البعض من المتأخرين فقال وهذا لا محصل له لما يلزمه من ان القصائد المقصود بها بعض المعاني العلمية كالشاطبية غير شعر لان المقصود فيها بالذات واولا افادة تلك المعاني وجعلت منظومة ليسهل حفظها فالصواب ان يقال ان القصد والعزم والنية بمعنى واحد وحقيقتها توطين النفس وعقد القلب على ما يرى قوله وهذا لا يجوز اطلاقه عليه تعالى كما قاله الامام الزوزني ونقل في حواشي الكشاف فخرج به موزون القرآن والحديث اما الاول فلعدم اطلاق القصد على الله حقيقة والحدود تصان عن المجاز واما الثاني فلعدمه فيه هذا هو الصواب اللائق بالقصد انتهى محل الحاجة من كلام الشهاب قلت وانت اذا تاملت كلامه رايته مرتضيا لتعريف الشعر بالتعريف السابق الا انه غير موافق على اخراج ما اخرج فقيد القصد كما تقدم قائلا

ان هذا الحد لا يتناول المتزن من القرآن والحديث لما اوضحه ورايته وهو صريح في جعل الاتزان من مسمى الشعر القاضي باخراج غير المتزن من ذلك وفي نقل هذا نموذجا من كلام الاقدمين في الموضوع بلاغ للناقد البصير، اما ما عثرت عليه من كلام الخلفاء في ذلك فهو مما لا طائل تحته وكثيرا ما يلجا اكثرهم الى ما قاله بعض المتاخرين الذي نقل الشهاب كلامه وعلمت ما له فيه من نقد وتمحيص وعندي ان اعتبار الوزن في مسمى الشعر مما لا يقام له وزن وما الشعر الا ما رن ودق من الكلام وفعل بالالباب فعل المدام وهذا ما تشهد له عبارة اولي الذوق من نبغاء صناعة الادب فمنها واظنه للجاحظ انما للشعر مباغتةوضرب من التمثيل وكذلك قول بعض العرب (الشعر كلام واجوده اشعره) فانظر الى جانب هذا الطور لعلك تجد قبسا على انك ربما تجد بدائع ذلك الصدغ كامنه في معادن منثوره اكثر ممايتراءى بسراب منظومه واذ قد تراءت لا لميتك بارمة القصد واردت سلوك محاج الهداية والرشد فدونك ما تزداد به بصيرة وتابيدا بعدما تبينت ما قدمته لك توطئة وتمهيدا فمن الادلة التي لا يحوم الشك حول حماها ما قاله اهل الحكمة في تعريفه من انه قياس مؤلف من مقدمات تنبسط منها النفس بسبب رغبتها فيها وان لم تكن مما يرغب فيها نحو الخمر ياقوتة سيالة او تنقبض وتنفر منها وان كانت في نفس الامر مما يرغب فيه كقولهم العسل مرة مهوعة ويزيد في ذلك اي في بسط النفس وقبضها ان يكون الشعر على وزن او ينشد بصوت طيب اه من شرح شيخ الاسلام بتصرف وايضاح قال الشيخ الحفني في حواشيه على الشرح المذكور ما نصه والقدماء كانوا لا يعتبرون في الشعر ان المراد هنا الوزن بل يقتصرون على التخييل والمحدثون اعتبروه ايضا وقوله ان ينشد بصوت حسن اي فان ذلك يزيد النفس انفعالا والسر في ذلك كما قاله بعض المحققين ان الارواح سمعت خطابه بالست بربكم وخطابه الذالاشياء فاذا سمعت صوتا حسنا حنت الى ما عاهدته اه

(٢) ومن ذلك حديث الزبرقاب فان المشهور وهو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيرقان بدر وعمرو بن الاهتم

فقال الزبرقان يا رسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقهم وامنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمروا فقال عمرو اجل يارسول الله اما انه مانع لحوزته مطاع في عشيرته شديد العارضة فيهم فقال الزبرقان اما انه والله قد علم اكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي فقال عمرو اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروءة حديث الغنى احمق الاب لئيم الخال فرأى الكراهية في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يارسول الله غضبت فقلت اقبح ما علمت ورضيت فقلت احسن ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الاخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة)

وجه الدلالة ان قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا قد وقع مدحا وتقريضا لمقالة عمرو المتقدمة وما هي ببحر ولا نهر من ابحر الوزن وقوافيه ثم هذا الحديث الشريف هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ولنا فيها مآرب اخرى نلمها في آخر هاته العجالة ان شاء الله تعلى .

٣) ومنها ايضا ما شاع في الجاهلية من تسميتهم للقرآن الحكيم شعرا مع انهم على اتم بصيرة بخلوه من الاتزان واياك ان تقول ان مرادهم بذلك ما جاء متزنا من الآي القرءاني فانه لا يعول عليه في مقام الكفاح والمجادلة لندرته والنادر لا حكم له فكما انهم لا يعنون بعضه في قولهم انه اساطير الاولين وكلام الجن وسحر يؤثر وسحر مستمر كذالك لا يعنون البعض منه بقولهم انه شعر وادل دليل على انهم لا يقيمون للوزن والمتزن في مسمى الشعر وزنا اشتباه امر القرآن الحكيم عليهم وارتباكهم في شأنه وفزعهم الى عراف يمامتهم في تبيين حال ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام المعجز فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء الوليد بن المغيرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانما رق له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا مالا ليعطوكه فانك اتيت محمدا تتعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من اكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك كاره له قال وماذا اقول فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا

بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى .وجه الدلالة ان قول الوليد ابن المغيرة المتقدم وقع جوابا لانكارهم وردا عليهم ولا يتم ذلك الا اذا كانت تلك دعواهم كما لا يخفى

٤) ومنها ايضا ان الشعر ليس خاصا بلسان العرب وكلها او جلها لا وزن فيه فلو اخذنا الوزن جزءا من مفهومه للزم انعدام الشعر في غير العربية واللازم باطل فكذا الملزوم

٥) ومنها انهم قالوا في تعريف الشعر انه الكلام الموزون قصدا بوزن عربي مقفى ولما اورد على هذا التعريف شموله لما جاء موزونا من آي الكتاب الحكيم كقوله سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجوابي وقدور راسيات اجابوا عن ذلك بان مجرد الوزن لا يكون به الكلام شعرا بل لابد من قصد الشعرية فقد اعترفوا بانفراده كوزن مجرد عن الشعر الامر الذي يشهد بان الوزن ليس من الشعر في قليل ولا كثير وهو ما نقول واليك نموذجا من ذلك لتكون من الموقنين وهو طرف من الكلام الغير الموزون وذلك قول الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله تعلى عنهما مجيبا لابي العلا المعري سامحه الله لما ساله بقوله

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

فقال له رضي الله عنه (لما كانت امينة كانت ثمينة فلما خانت هانت) فاي شعر وراء هذا وحاصل ما في المقام اذا ابت الى الحسنى وتركت الاعتساف أن الموزون والمتزن نوع من انواع الشعر العربي على معنى ان الوزن شارة من شاراته ومظهر من مظاهره وليس هو هو حسبما يستفاد ذلك من قول الوليد بن المغيرة ومن قول شيخ الاسلام ايضا(ويزيد في بسط النفس وقبضها ان يكون الشعر على وزن أو ينشد بصوت طيب) لكن ليس ذلك مراد قريش من دعواهم ان القرآن وان الرسول صلى الله عليه وسلم شاعر لما مر بك تحريره • ثم اعلم اعزك الله ان الشعر نوع من انواع

الكلام منه الطيب ومنه الخبيث وعليه فمن الخور تجنبه ونبذه ظهريا بدعوى انه مذموم فلا يجفوه بعد هذا الا منحرف المزاج الذي لا يفيد فيه علاج والدليل على انقسامه الى ذينك القسمين قول الله تعلى (والشعراء يتبعهم الغاوون) الآية وقوله عليه الصلاة والسلام (لأن يمتلىء جوف احد كم) الحديث ونحوه بضمه الى قوله سبحانه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذ كروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) والى قوله عليه الصلاة والسلام (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) فان قيل اذا كان الشعر كما قلت فما هو سبب عدم قوله عليه الصلاة والسلام للشعر قلت ان الحكمة الالآهية قضت بذلك سدا للذريعة وقطعا لاحتمال ان يكون ما جاء به من القرآن الحكيم من عند نفسه صورة خيالية ونسجته يداه ، وبهذا تتبين ان قوله جل شانه (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ليس فيه ما يحط من شرف الشعر كما هو بين بل فيه اشارة الى مدحة يعقلها العالمون وهي اسناد تعليم الشعر له سبحانه وتعلى وانه من العلوم اللدنية اخذا من نفي تعليمه في هاته الآية فانه لا ينفي شيء عن شيء تعلي عن تعليم الخبيث الرحمن الذي خلق الانسان علمه البيان ومثل الشعر في ذلك الكتابة لانها مما يتطرقه غمز الغامزين ولمز اللامزين فعدم علمه بها صلى الله عليه وسلم لا ينقصها من كرامتها واقرأوا ان شئتم قوله سبحانه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون) بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون



ان لقصيدة البرده مقاما ممتازا في القديم والحديث وما انفكت عناية الادباء بها متواصلة من تشطير وتخميس ومعارضة وشرح وتعليق وقد عدت من كنوز الادب العربي الفائقه زيادة عن موضوعها السامي العظيم.

وقد شملت نفحة الآهية شاعرنا الكبير امير الامراء السيد الشاذلى خزنه دار فشطر هذه القصيدة الفاخره فاتى بالسحر الحلال وبز من سبقه في هذا الميدان ولا عجب فمثله المجلى اذا تسابق الادباء وسواه المصلى اذا تراهن الشعراء وكتب على التشطير شرحا سماه نفح الورده على تشطير البرده وهو عازم على تقديمه للطبع وانا نقدم التشطير المبدع متتابعا وفيما يلي القطعة الاولى منه

تشطير البرده

امن تذكر جيران بذي سلم	خضت السهاد باجفان فلم تنم
ام من مزاجك مذ جاريت رقته	مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
ام هبت الريح من تلقاء كاظمة (١	تطوي الفيافي وتعلو هامة الاطم (٢
ام سحت السحب فانهالت غوادقها	واومض البرق في الظلماء من اضم (٣
فما لعينيك ان قلت اكففا همتا	جريا مع السيل او صبا مع الديم
وما للبك لا يلوي على رسن	وما لقلبك ان قلت استبق يهم
ايحسب الصب ان الحب منكتم	ما الحب فيه سوى نار على علم
كيف انضواء الهوى والحال واضحة	ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل	ولم تقف عند حديه ولم تقم
ولا استرقك من وادي النقا ارج	ولا ارقت لذكر البان والعلم
ولا اعارتك لوني عبرة وضنى	سجعات ورقاء بين الايك والاكم
ولا انتفضت انتفاض الطير حين جرت	ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم

(١) كاظمة موضع في الحجاز (٢) الاطم لمرتفعات (٣) اضم وادي دون المدينه

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت سماركَ الشهب في اجوائها النتم

سيماك سيما المعنى حيثما اتضحت به عليك ردود الدمع والسقم

واثبت الوجد خطي عبرة وضنى مما استقر بغير اللفظ والكلم

خطان خطا ولا تثريب وارتسما مثل البهار على خديك والعنم

نعم سرى طيف من اهوى فارقني حتى أرقت عليه دمعي ودمي

يهفو الخيال فيعرو لذتي كدر والحب يعترض اللذات بالالم

يالائمي في الهوى العذري معذرة للجانبين فلسنا من ذوي رحم

اني ابن عذرة في وجدي فخذ لاهدي مني اليك ولو انصفت لم تلم

عدتك حالي لاسرى بمستتر في الحي ما دمت في الاحياء وفي الرمم

لا للشفاء انكماشي في اذاعته عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

محضتني النصح لكن لست اسمعه اذ ليس غير الهوى عندي بمنفهم

ان المحب غريق في صبابته ان المحب عن العذال في صمم

اني اتهمت نصيح الشيب في عذل والحال فاضحتني في بيضه الهجم

وليس يحسن ان القاه متهما والشيب ابعد في نصح عن التهم

فان امارتي بالسوء ما اتعظت كلا بمنفسخ منها ومنخرم

ولا استفاقت الى ان زعزعت خلعا من جهلها بنذير الشيب والهرم

ولا اعدت من الفعل الجليل قرى شرطي حكم من الاكدار منبرم

من لي بايقاظها للانتباه الى ضيف الم براسي غير محتشم

لو كنت اعلم اني ما اوقره ما كنت عن شارب اعفو وعن لمم

لكنني لم أشأ صنع الخليع ولا كتمت سرا بدا لي منه بالكتم

ادب الامير شكيب ارسلان

دراسة - تحليل - نقد

(١)

بقلم الاديب الاستاذ احمد مختار الوزير مدرس
فن التعليم وعلم النفس بجامع الزيتونة

في عالم الادب العربي الحديث تشع اسماء ذوي المواهب العقلية اشعاعاً خاطفا وفي ما يكون من هالات هذا النور تبدو شخصيات تلك الاسماء اخاذة باهرة وفي انعكاس فيض الاشعاع النوراني على اعين الناظرين الى تلك الشخصيات آيات التحدى الغالب القهار ناطقة بالقدرة مرددة

« فارجع البصر هل ترى من فتور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير »

كذلك ينشا الاذعان لفتنة الاعجاب وشعور الاجلال وكذلك يكون الاكبار والتعظيم لتلك الشخصيات المتجلية في محاريب التقديس . فاذا نفوذها يطغى سلطانه ويستبد تاثيره وانها لكذلك ما تزال ترتفع وتتسامى وما ارتفعت او تسامت الا ازدادت منعة وازداد نفوذها استقواء واستبدادها تاثيرا عميقا ولا ترى مع هذا كله الا ما هو حادث ولا بد من تواضع ملكة النقد مهابة واتقاء لهؤلاء الاعلام البارزين الذين اصبحوا ولا مبرر لابتعاد النقدان يتناول انتاجهم بالتصحيح والترجيح الا هذا النفوذ العتيد الذي مكن لهم من ان يعيشوا في عصمة الاعجاب، فلا تطاول في الميادين بنودهم ولاتتسورعليهم من الحذر حدودهم وان امير البيان الامير شكيب ارسلان لمن اخص هؤلاء الاعلام الذين شغلنا الاعجاب بهم عن التصدى لنقدهم . ولولا ان الموت قد اسلم اثاره ليد التاريخ وهو اصدق حكم ومكن من انتاجه للزمن وهو ادق ممتحن فما كنا نجد الي نقده هذه السبيل .

ونحن لا نحتاج الى تلمس ما نتقدم به بين يدي الحديث عن ادب الامير شكيب ارسلان فقد كفانا ذلك انبثاق اسمه ساطعا . وتجلي شخصيته صاعدة وذيوع بيانه ذيوعا بعيد المدى في المشرق والمغرب ففي كل آفاق البلاد العربية لا بد انك واجد ما يستوجب منك التعرف والمخالطة الى عقل امير البيان وعواطفه بل لا بد انك واجد نفسك مملوءة اعجابا مملوءة اجلالا لشخصية الامير ولو انك لم تقرا له الا القليل ففي هذا القليل ما يجيز لعدوى التاثير ان تاخذك اخذا لمعرفة شخصية شكيب ارسلان والاذعان لها والانقياد لسلطان نفوذها وان شخصية هذا شانها وسعت التاريخ شهرتها ما يستغرق اجيال ما قبل الحرب الكونية وما بعدها الى هذه الحرب الذرية الاخيرة لهي شخصية جديرة ان يتهيا العقل لمواجهة صعوبة التفكير بشان اسباب عظمها اكثر من ان يتهيا لامر آخر يعنى به بين يدي الحديث عنها وعن تراثها الفكري والعاطفي الذي يتألف من اضافته الى غيره برهان الدلالة على ان نسق الحياة كان ينتظم الامة العربية لما يبديه اعلامها من انتاج وابداع .

فبأي الاسباب الوثيقة ترتبط شهرة هذه الشخصية ؟

قد يكون في الذي افاض فيه القول الاستاذ الفاضل من المعاني الماجدة ما ينكشف به سبب هذه الشهرة من منذ نشأة الامير شكيب الاولى

فإن في أرومة النسب الكريمة التي ينحدر منها هذا الامير العربي وفي السلسلة المحفوظة من الاجداد التي تصل بينه وبين النعمان ابن المنذر مظهرا عظيما من اتصال العزة العربية حاضرها بغابرها وارتباط السؤدد سابقه بلاحقه واسترسال الكفاح العربي في سبيل التحرير قديما وحديثا ...

فقد اتصل مجد آل النعمان بن المنذر بعظمة الفتوح الاسلامية واستمروا في طليعة الغزاة المسلمين كامل العهد الاموي ثم كانوا من اعيان اعضاد الدولة العباسية وولاة المقاطعات الشامية في نواحي بيروت واشتهر منهم الامير ارسلان بن مالك في عهد ابي جعفر المنصور وظهرت بطولاتهم على اشرف احوالها في دفاعهم ضد

الفرنج في الحروب الصليبيـة ثم في تعزيز الخلافة العثمانية وتسلسلت امارتهم واستقرت سيادتهم في قصبة الشويفات من جبل لبنان التى ولد بها فقيدنا العظيم الامير شكيب . »

ففي هذا البيت المعمور الـذي عرف رجاله بحسن البلاء في اهول المشاهد وعرف رجاله بالاخلاص وجميـل الرعـاية لحرمات السيادة لهم وعليهم نشا الامير شكيب نشاة اشاعت في اعماق نفسه الغضة سرا رفيقا ولكنه عظيم في ايقاظ كوامن هـذه النفس الناشئة ومضمراتها واثارة اخص كفاءاتها والتمكين لهذه وتلك ان تستمدا بدا من اصفى الروادف ما يكـون به الاحياء والايحاء فكانت لهذا مقومات السيادة مهيئاً لها في شخصية شكيب الطفل وشخصية شكيب الشاب من بعد ذلك السر الوراثي الرفيق ما تحفزت به للظهور العاجل فاذا الشعور بالعظمة هو ما كان يملأ قلب هذا الشاب تفاؤلا واذا الشعور بالعظمة هو ما كان يوطد لهذا الشاب ان يضع قدميه في مبتدا طريق محفوف بالمخاطر ولكـنه طريق المجد والفخار على كل حال .

وخطا الامير شكيب الخطوات الاولى بهذه السبيل قوي الثقه بحكمة عقله قوي الثقة بسيادة شخصيته قوي الثقة بصدق تفاؤله بما ينتظره في مستقبله . قوي الثقة بشجاعته وشدة صبره وتجلده قوي الثقة ابدا بفنه واقتداره فيه ومهما كان شان هذه الخطوات الاولى فى ثباتها ونسق اطرادها فان الاعتقاد يكاد يثبت في النفس بانها كانت خطوات ناجحة اذ لا ادعى للنجاح من النجاح ..

وانه لموضوع طريف جدا ان نتعرف كيف استخدم هذا الاديب العظيم مواهبه في بداءة سيره بسبيل العظمة ولكـنه برغم طرافة الموضوع بحد ذاته فاننا نرتد عنه في احيان كثيرة منتظرين استدراك ما فاتنا من علم المفصلات التى نتناول بوصفها الصادق تلك الازمنة والامكـنة . وما يتخللها من الحوادث التي كانت موطن الملابسات المتصلة اتصالا وثيقا بقريحة الامير وفنه الفكـري والعاطفي فانه ما من حادثة عابرة في زمانها ومكانها الاولها باعتبار اتصالها بقوة شعوره المرهف تاثير في

كونه البطن في نفسه المهياة الحس لقبول ذلك الاثر والامتزاج به فمن صفاء تلك الآثار جميعها ومن قوة الامتزاج بها جميعها يكون الينبوع الفياض المتدفق بالمعاني والخواطر والافكار والعقائد هنالك يكون للأديب العظيم من نفسه جانب يسمو به عن الاحياء ولكنه يشرف من منافذه العالية على مضمرات اسرار الاحياء كما يبلغ به ان يتخذ من صميم الحياة العابرة سلوته الدائمة كما يبلغ به ان يتخذ من صميم الحياة العابرة مواضيع فنه وهكذا تنبثق انوار رسالته تعلن للاحياء الحق ما كان منهم التشوف الى الاذعان وتعلن للاحياء الخير ما كان منهم النزوع الى الاقتداء وتعلن للاحياء الجمال ما كان منهم الاقبال على بدائع الجمال .

تلك حياة الاديب في اعتباره بالوجود واعتبار الوجود بفنه فيما ينبغي ان يكون عليه في العقيدة والمنهج والعمل

ولئن كنا نجهل نوع تلك المفصلات المعبرة عن تجارب ملابساته للحياة فان الحوادث التي شهدها وجاز غمارها والتي كان تاثيرها عليه قويا جدا ليست من الحوادث الضيقة الحدود او الخفية المعالم في سفر التاريخ فهي حوادث امة لها في وجودها القائم في شطر عظيم من هذه الدنيا حضارة روحيه ومادية لها دينها واخلاقها وتقاليدها وعاداتها ولغتها وبيانها وفنها فيه ولها سياسة حكمها ونظم مشترعاتها وصناعات عمرانها وطرز مرافق معاشها تلك هي الامة العربية الشرقية في حادث اتصالها بالامم الاروبية الغربية

ان حادث هذا الاتصال القديم الجديد المنصرم المؤتنف لهو الحادث الذي مس بفواعل مواجهته في طوره الاخير خلال القرن التاسع عشر كيان الامة العربية فتجمعت كل إصداء هذا المس العنيف في الصميم المهيا من قلب اديبنا الامير وعقله فاقبل بكليته في استجاباته لهذه الاصداء الهاتفة التي ملات نفسه بجلجلة رجعها الدائم اقبالا خلص به الي ان يكون في بدئه ومنتهاه مقيد المصادر والموارد بكل ما يتعلق بقضية اتصال الشرق بالغرب فما من جانب من جوانب قضية هذا الاتصال الا وله من الامير اقبال وفيما يعنيه ويخصه من بيان الامير مقال ولسوف نتعرض لطائفة من هذه الجوانب في مباحث نقدنا لمقالات الامير من حيث البيان وفن التحرير . (يتبع)

مقومات الرأى الصحيح

بقلم العالم الشيخ التهامي الزهار المدرس بالجامعة الزيتونية

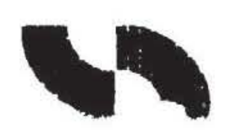
أشد ما يحرص عليه الانسان في هاته الحياة ان يكون ذا راي صائب وفكر ثاقب ولذا يجتهد ما امكنه لجمع شتات المعرفة ليكون حكمه على الاشياء صحيحا وبعده عن الخطا والزلل ثابتا ولكن الاخطاء لا تنفك تتعاور الافراد والجماعات فالامتحان صعب، والنتائج المترقبة عن الاصابة محمودة العاقبة والاخطاء تختلف آثارها قوة وضعفا فكم من غلطة اوقعت الفرد في الهوان المستمر واودت بحياة اجيال ودكت معالم . ولذا وجب على المستنيرين ان يكون رايهم مشهودا له بالصحة وبعد النظر لتحقيق المصلحة العليا مصلحة الجميع ولكن ما هي الوسيلة او الوسائل التي يمكن بها تقريب الخطى حتى يقع تلافي اكثر ما يمكن من الزلل لان تلافي الجميع كانه عادفي حيز الامكان البعيد . الجواب ان السبيل الى ذلك المعرفة الصحيحة . والتربية الصالحة فالمعرفة تكون بتوسيع الدائرة بمختلف العلوم التي تعين على جعل الانسان يفكر تفكيرا واقعيا يحسب لكل عمل يريد الاقدام عليه حسابه فينظر في كل عمل قبل الاقدام عليه الى النتائج المترتبة عنه ويهيء لتحقيقه ما يناسبه من الاعدادات . على ان تكون عاقبته هي مبعث المقدمات فلا يكون سطحي التفكير كثير الاحلام تاخذه بهرجة المظاهر ويغفل عن امر البواطن فيضيع جهده ويخف وزنه ولايفيد مجتمعا ينتسب اليه . واذا ما عجز وساءت حاله ينقلب شره عليه فلا يلبث ان يمس القوم طائف من اخفاقه لان المجموع يسعد بقيام افراده بما ينفع ويفيد لا بما يضر ويشين . وثاني الاسباب التربية الصحيحة وههنا المعضلة الكبرى والمشكل الكبير لان التربيه عندنا اختلفت طرقها وتشعبت مسالكها فالتربية القويمة تقوم على ايجاد اناس مستقيمي الاخلاق تنزع منهم الانانية وتحبب اليهم ايتاء الخير وتجعلهم ينظرون في اعمالهم الى المصلحة العليا فتفنى المصلحة الذاتية عندهم في المصلحة العامة التي هي في

حقيقة الامر آيلة الى مصلحة الافراد .

ولا اعني بالمصلحة الفردية المصلحة المادية فحسب بل تلك الاماني التي تزين للنفس حب السلطة والجاة واحتلال المناصب .

فاذا ما لقن النشء محبة العظمة الحقيقية المتمثلة في المثل الكاملة التي مردها الى إستعذاب القيام بالواجب يتكون في الامة نشء متحل باهم الاخلاق الصحيحة من حب للعمل المثمر متحل بسعة الصدر فينبذ كل ما من شانه عرقلة اعمال غيره ويسعى في التعاون مع بعضه لخير الوطن والامة لا فرق بين ان تكون الاعمال ادبية او مادية اذا ما كان عندنا نشء متحل بمثل هاته الصفات يكون حقا عظيما وان لم يكن في منصب الرئاسة او في منصب الادارة لان الكفاءة والاخلاق الكريمة تجعلانه في صف المرشحين ليشغل مناصب الرعاية بحسن سلوكه ومقدرته اللذين يبعثان الاعجاب والتقدير واذا بعظمة المظهر اعنى عظمة السلطة والجاه تمد اليه اعناقها وفي متناوله الامساك بناصيتها .

واذا ما اختلفت طرق التثقيف وسبل التربية من حيث التوجيه والشعور توجدت عقول مختلفة التقدير وتولدت عنها بحكم الضرورة آراء متضادة فيكون الاصطدام ولاجل الانتصار تكثر المجادلات ومنها ينتقل الى الاصطدامات ويتغلب ـ وهو امر طبعي ـ من كان اكثر تاثيرا واقوى عصبية . والواجب على من يشعر انه على الحق ان يعتز بقوة حجاجه ويسعى في تكثير افراده ويتخذ الاقناع بالحجة والمجادلة بالتي هي احسن وسيلة لان التغلب بالقوة لا يزرع الا الشحناء وما يسكت المخالف الا الى حين لان الظروف هي التي تملي على الانسان المهادنة الوقتية واما امتلاك القلوب فليس سبيله الا القوة في الحُجة وإيثار المصلحة العامة على الخاصة فينتشر بين الناس الامن وتعذب الحياة وتسكن النفوس



ابن تيمية

نسبه ومولده

في حرّان بالوطن العراقي وفي يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الاول سنة ٦٦١ ﻫ ، ولد ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن خضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية تقى الدين

فكان موضوع فرح لابويه واخوته في ذلك الوقت الهائج اذ العهد بالمغول يكتسحون بغداد عاصمة العراق والمدائن التي تقع على الطريق المؤدية الى الشام قريبة الاكتساح ومن اجل ذلك كان الناس كلهم في فزع وخوف لا حديث لهم غير حديث الحرب والمغول فاذا ما فاجأ عائلة من تلك العائلات المروعة مثل مولود او رجوع غائب ميئوس منه ففى ذلك عزاء عما يتتابع من اهوال وقد يكون المولود في ذلك الزمن وقرا تنوء به كواهل الاولياء ولكنه وقد تشفع له الآمال التي يبعثها فى الانفس والحياة الغضة الباكرة التي ينفح بها الافئدة

ولفظة « ابن تيمية » كنية جده محمد بن الخضر ووجه تكنيته بها ما روى من انه كان له ام واعظة تسمى تيمية فدعى باسمها وقيل غير هذا وهو انه حج عاما فمر على تيماء فصادف ان راى هناك طفلة صغيرة خرجت من خباء وكان قد خلف زوجته حاملا فلما رجع الى حران وجدها ولدت بنتا فنظر اليها وقال مدغدغا : يا تيمية . فلقب بذلك وسرت لقبا لكل من تلاه من البنين والاحفاد

وتوارث الالقاب والكنى في ذلك العصر بالخصوص غير بدع من الامر والظن انهم يرعون ذلك لامور منها :

ان في الكنى والالقاب ملاحظة كانت هي السبب في التكنية والتلقيب وهذه الملاحظة قد يعز على من ينتسبون الى اصحابها ان تزول وتضمحل فيعمدون الى اضافة رموزها للفروع حفظا لها وتفاؤلا ان يكون للفروع نصيب منها

ومنها انهم كانوا ينسبون والالقاب والكنى مما يساعد على الاحتفاظ بشجرات الاحساب، والانساب

ومنها حرص الكثير على تخليد الاصول بابرز الرموز التي كانوا يشهرون بها . وتدل على معنى بارز من المعانى التى كانوا يقومون بها

ومهما يكن من امر فشان « ابن تيمية » من اسرة الشيخ ابي العباس تقى الدين غير مستهان به

فقد كانت اسرته اسرة علم وورع وفضل فليس من الغريب ان كان آباؤه يتفاءلون بها ان تحفظ الابناء ايضا سلسلتهم في علم وورع وفضل .

انتقال اهله الى الشام :

الغالب في الاشاعة متى فشت وعظم امرها انها لا تلبث ان تتحقق

كذلك حديث الحرب في البقاع التي تبعد عن بغداد المفتوحة في ذلك الزمن بدا يحدث الشيء الكثير منه رويدا رويدا وما هو الاعام او بعضه حتى روع الملا فلم يفيقوا الا وقد شقت قوافلهم الى بلاد الشام اميالا واميالا ومن تلك القوافل قافلة ابن تيمية الصبي

وفي حدود سنة ٦٦٧ ه وصلت اسرة ابن تيمية الى دمشق بعد سفر شاق مبيد ولم يكن لتقي الدين غير ست سنوات

تعلمه

فكان من الطبعي لوالد عالم حريص على ان ينجب خلفا صالحا يخلده وقد احس بكبر وضعف ولمس في ابنه مواهب واستعدادا طيبا ان يسلمه

الى مدرسة من المدارس تحقق له منيته فاودعه الى جلة من مشائخ دمشق يسمع عنهم مبادئه وما ان احس الطفل في نفسه رغبة في العلوم الدينية وكان حنبليا حتى الحق بالمدرسة السكرية التي تقتفي المذهب الحنبلي والتي يقوم بالتدريس فيها نخبة من مشائخ هذا المذهب منهم الشيخ ابن دقيق العيد والشيخ كال الدين الزملكانى فاقبل على التفسير اقبالا واحكم الحديث واصول الفقه فكان من امره ان علا صيته وحسب له العلماء من مشائخه وغيرهم حسابه لما كان يبهرهم به من ذكاء وحافظة وسرعة ادراك كل ذالك ولم يكن له من العمر غير خمسة عشر سنة اودون

ثم غادر المدرسة وقد صلب عوده وتمكن من المواد التى درسها في الدين تمكنا اهله الى ان يكون مفتى دمشق وله اذ ذاك من العمر سبعة عشر عاما

ومن ثم شرع في امداد الطلاب والعلماء بابحاثه التى تضم فتاواه ومسائله التى يرى من الخير نشرها في هذا الزمن الذى كثر فيه الادعياء حتى التوت مسارب الحق واليقين ثم توفى والده وهو ابن نحو من عشرين سنة فكان خلفا صالحا من اكابر الحنابلة . وما ان بلغ الثلاثين من عمره حتى انتهت اليه الامامة في العلم

اطوار حياته

ومن هنا تبدا حياته العملية في اعنف ما يبدو فيه صراع بين انسان سلفي صادق العقيدة الدينيه حريص على توطيد معالمها وبين طرائق غلاة يقلبون في النصوص تقلب من يحاول ان يوجد مبررات لما تمليه عليه آهواؤه او منبهات المناسبات الموقوتة وفي اقسى ما يظهر فيه صدام بين شيخ الاسلام شاعر بتبعة الدين والمسلمين عليه محب بكل قواه ان تكون كلمة الله هى العليا وبين قوم مهاجمين لا دين لهم ولا قيم .

الطور الاول من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧٠٥

فهو في هذا الحين مقابل لعدوين احدهما خارجى والآخر داخلي اما عدوه الخارجى فهو التتار الذين في حملة تطهيرهم التى سبقت الاشارة اليها والتى بدات طوابيرهم تمس الارض الشامية مما يلي العراق

فمن المعلوم ان ابن تيمية من اولئك اللاجئين المروعين في املاكهم وفرارهم ونفسية اللاجئى على نصيب وافر من الحرارة التى تدفعه الى الثار من مروعه وخصوصا متى كان اللاجئي رجل دين يرى نفسه مسؤولة عن كل ما يصيب الاسلام من خطر كابن تيمية

ومن اجل ذلك قام الشيخ في ذلك الوقت قيام بطل مدرب على الخيل والسيوف وقائد ممرن على قيادة الجيوش وقيام واعظ يعرف مايعظ الناس به ومحرض خابر أساليب التحريض . فكان منه ان توجه الى مصر مركز القوة الاسلامية ليستصرخ اركان الدولة ويحثهم على الجهاد في سبيل الله مستعملا في ذلك ادلته الدينية التي يحكم استعمالها ثم عاد بعد ان اتم تمهيده الى دمشق قائما بمثل ما قام به في الديار المصرية من اهابة وتحريض ولم يكتف الشيخ بهذا ولو اكتفى لكان قد ادى كل ما عليه كشيخ للاسلام ولكنه ابى الا ان يتجاوز هذا الحد الى الساحة حيث يقدم مثلا لما قام به في جولات استنهاضه فيتقلد السيف ويمتطي الجواد ويقابل التتار وجها لوجه ويساجلهم سهما بسهم فكان منه ان حضر وقعة شقحب المشهورة سنة ٧٠٢ ه التي كتب فيها النصر للمسلمين . وهذه الظاهرة ممايدعونا الى الالتفات اليها التفات اكبار من رجل دين في عصر كعصر المماليك .

فرجل الدين في ذلك الوقت كان الرجل المخوف عنه المدافع عن حوضه البعيد عن ميادين القتال وقصاراه فى عمله ان يكتب أو يفتي او يدرس في جامع

او مدرسة اما ان يصطف من بين العساكر يواجه الاسنة والرماح فهذا تكليف لا مبرر له حري به صاحب الفاس والمطرقة والبضاعة . ومع هذا فاننا نجد ابن تيمية في هذا الصدد من الداعين لا المدعوين والمدافعين لا المدافع عنهم . وهذا راجع فيما اعتقد الى نشاة اللاجيء المكروب والى هضمه للدين الاسلامي وفرط كلفه بتحقيق تعاليمه واقتدائه بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم فرط اعجابه بالخلفاء الراشدين . فقد كان ابن تيمية الرجل السني الصرف المهذب في سنيته المحافظ على شعائرها . واما عدوة الداخلي فؤلئك الفرق المتشيعة من نصريه وباطنية ورافضة التي تتنكر بلبوس الدين وتسعى لنفسها على حساب المبادىء والعقائد ومن السهل جدا ان تنجح هذة الفرق في مساعيها في زمن مصيخ لكل ناعق كزمن المماليك ولا حاجة بنا ان نطيل بالتكلم عن حالة العصر ففيما تقدم لنا غنى عن الاطالة

ولكننا ونحن نساير رجل علم في مناهضاته المختلفة لهذة الطوائف المبتدعة نشير الى شيء ذلك ان التتار وان ضعفوا في موقعة عين جالوت ووقعة شقحب التي شهدها ابن تيمية الا ان انصارهم وانصار المسيحية المنتشرين في البلاد الاسلامية في سعي دائب الى تقويض السلطنة الاسلامية وتمكين المغول ومن هؤلاء الانصار الطوائف التي ذكرت كما يعتقد ابن تيمية . ومن هنا نثبت ان الشيخ لم يحارب اصحاب هذة الطوائف لانهم اعداء ما يسميه عقيدة اسلامية فقط وانما لانه يعتبرهم الموالين للاعداء الاجانب والاصل لما يقاسيه العالم الاسلامي من تحد وهجوم كما يقول في رسالة بعثها الى الملك الناصر في شان الرافضة : « وذلك ان هؤلاء (يعني الرافضة) جنسهم من المفسدين في امر الدنيا والدين . فان المسلمين عندهم كفار مرتدون ولهذا السبب يقدمون الفرنجة والتتر على اهل القرءان والايمان . ولما قدم التتار الى البلاد وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد فرحوا لمجيء التتارهم وسائر أهل هذا المذهب الملعون وهذة الطائفة كانت من اعظم الاسباب في دخول جنكيز خان الى بلاد الاسلام وفي استيلا هولاكو على بغداد . »

(يتبع) حسين المنياوي

المجلة الزيتونية

رئيس التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ ـ ٢٩

قيمة الاشتراك عن سنة الف فرنك بخصم الربع لتلامذة المعاهد العلمية

ثمن الجزء : مائة فرنك



تونس في

١٣٧١ - ١٩٥٢